سيمياء الأهواء في رواية الحفيدة الامريكية لإنعام كجه جي

م. علية مسير رسن

جامعة بغداد / كلة التربية للبنات

Aliah.mser@coeduw.uobaghdad.edu.iq

الملخص:

إنَّ الهدف الحقيقي الذي يكمن خلف تحرير هذه المقالة البحثية هو سبر أغوار الخطاب الروائي, والذي ينتظم البنية العميقة لرواية (الحفيدة الأمريكية) للكاتبة العراقية إنعام (كجه جي), والسعي إلى رصد البعد الهووي, عبر مقاربة لسيميائية الأهواء التي يتم تخطيبها في النصّ, والوقوف عند البعد الانفعالي بوساطة دراسة التمظهرات المعجمية , والدلالية لأهواء الحب ,والغضب, والشجن , والحزن , وغيرها من الأهواء التي تلمّ في النفس البشرية.

الكلمات المفتاحية: (سيمياء الأهواء، الحفيدة الامريكية لإنعام كجه جي، المقالة البحثية).

The semiotics of passions in the novel of the American granddaughter For the best

ealiat masir rusn

University of Baghdad / College of Education for Girls

Abstracts:

The real goal behind the editing of this research article is to probe the depths of the narrative discourse, which organizes the deep structure of the novel (The American Granddaughter) by the Iraqi writer Inaam (Kajah Ji), and seeks to monitor the identity dimension, through an approach to the semiotics of passions that are imbued in the text, and standing On the emotional dimension by means of studying the lexical and semantic manifestations of the passions of love, anger, grief, sadness, and other passions that afflict the human soul**.**

Keywords: (Simia of passions, the American granddaughter of Inaam Kajah Ji, the research article).

المقدمة:

تسعى سيميائية الأهواء إلى دراسة منظومة من المشاعر والانفعالات المتعلقة بالذات الإنسانية داخل النصوص والخطابات السردية , منها دراسة الغيرة , والبخل , والحب, والحقد , وغيرها من الصفات التي تنطوي عليها النفس البشرية.

لقد تبيّن من تتّبع لبعض من المدوّنات النقدية الخاصة بسيمياء السرد أنّها تتكأ في مقارباتها على الجانب اللساني , مما يحيل إلى القول: بإغفالها الجوانب النفسية في مقارباتها للنصوص السردية, وبالتالي فلا يسمح ذلك بتطوير مناهجها , وقد يبدو للبعض ممن يهتم بدراسة السيمياء السردية أنّ ذلك ما دعا غريماس و فونتاني إلى إعادة الاعتبار لقضية تُعدّ مادة ثرّة للبحث السيميائي إلا وهي ثيمة الأهواء .

من هنا كان مدار هذه المقالة البحثية :(سيمياء الأهواء في رواية الحفيدة الأمريكية) للكاتبة العراقية (إنعام كجه جي) إذ تدور حول رواية عراقية , تجسّد شروخا نفسية, وأخلاقية , واجتماعية في بنية المجتمع العراقي , أيام أحداث الاحتلال الأمريكي .

قُسّم البحث إلى مقدمة. ومهاد نظري تناول السيمياء السردية, ومن ثمّ الانتقال إلى الإطار النظري الذي تناول سيمياء الأهواء في كتاب (سيمائيات الأهواء – من حالات الأشياء إلى حالات النفس) للسيميائيين (غريماس وجاك فونتاني). أمّا الجانب التطبيقي فقد كان مدار تحليل سيميائي لرواية الحفيدة الامريكية, والاهواء التي تمظهرت فيها , فكانت مقاربة للتمظهرات المعجمية للأهواء, والتمظهرات الدلالية في النصوص بوصفها سبيلا نحو كشف الدلالات وآليّات إنتاج المعنى, ومن ثمّ خاتمة لأبرز النتائج وقائمة الهوامش, والمصادر والمراجع .

مهاد نظري:

السيماء أو علم الإشارات أو علم العلامات , هو ذلك العلم الذي يعنى بدور كبير في عملية إنتاج المعنى, عبر رصد الضمني والمتواري , في عملية تفكيك للوحدات البنيوية تفكيكا سيميائيا, ومن ثمّ البناء بوساطة المنهج السيميائي نفسه. بيد أنّ هذا المنهج كان يرصد لنا سيمياء الفعل عند غريماس في مقاربة النصوص السردية بينما اكتفت سيمياء الأهواء بتمييزها بين الأدوار الموضوعية والأدوار الانفعالية. لقد آثرنا دراسة البعد الإنفعالي فكان المدى التطبيقي متجسّدا في تحليل رواية (الحفيدة الامريكية) للروائية العراقية (إنعام كجه جي) في حين انحصر المدى التنظيري في نوع آخر من السيمائيات يتجسد في المدوّنة النقدية (سيمياء الأهواء من الأشياء إلى النفس) للسيميائيين غريماس وفونتاني وهما بصدد دراسة انفعالات الذات .

لقد تطور البحث في علم السرد في الستينيات من القرن الماضي مع بداية ظهور الإنجازات السيميائية لمدرسه باريس التي تزعمها غريماس, إذ سعى أصحاب هذه المدرسة إلى مقاربة النصوص السردية مقاربة سيميائية؛ للكشف عن نظام عناصر الخطاب, والبحث في المشكلة العلائقية لهذا النظام ولعل من أهم عناصر البحث في الخطاب السردي تلك التي تتعلق بعملية المقولة السردية اذ تتجاوز تحقيق الجملة بصفتها وحده دنيا في الدرس اللساني , إلى تحقيق الخطاب بصفته كلاّ دالاّ , وبالتالي الاهتمام الكبير بالخطاب باختلاف السيمائيين حول كيفيّه تحليل مكونات النصّ, إلاّ أنّهم انطلقوا صوب دراسة المعنى النصّي عبر بنيتين منهجيتين[١] :

البنيه السطحية : ويتم الاعتماد فيها على المكوّن السردي والمكوّن الخطابي .البنيه العميقة: التي ترصد شبكه العلاقات التي تنظم قيم المعنى في المكوّن السردي.

لقد كان مسعى الناقد الفرنسي غريماس بوصفه رائدا في هذا المجال, ومكملاً لما بدا به الناقد الروسي فلاديمير بروب إذ استثمر غريماس المنهج

الوظائفي لبروب واختصره في نموذجه العاملي الذي صنع منه قانونا يمكن على منواله مقاربة النصوص السردية بطريقه ممكنه محكمه تستند إلى فرضيات منطقية, وبذلك ويُحصّن غريماس النصّ من أن تطاله الاحتمالات الشخصيّة التي تنبعث من خارجه, فأصبح ظهور مقاربة اثر مقاربة ديدن النقّاد ودارسي النقد الادبي , فالتطور السريع في الحياة الإنسانية أدّى بطبيعة الحال إلى تطوّر في مقاربات السرد الأدبي سواء أكان في الخطاب الروائي أم في المنجز السردي الشعري , أي في القصيدة السردية التي تضطلع بنقل حدث أو أحداث في النصّ الشعري .

لقد سعت السيمائية بوصفها منهجا حداثيا إلى تحديد طبيعة المقاربات التي تتخذ من النصّ مادتها الأساس عبر تفكيك مكوّناتها التركيبية ؛من أجل بناء المعنى وإنتاجه أي أنّ دراسة الرواية من بين الأجناس الأدبية التي تنضوي تحت مظلة السيمائية السردية والمدرسة الباريسية على وجه العموم, فقد تنبّأ غريماس وتلميذه فونتاني إلى منهج جديد عُرف بـ(سيمائية جديدة) تُعد انتقاله من سيمياء العمل التي اهتمت بالحدث إلى سيمائية الأهواء التي تسعى للكشف عن المعنى والدلالة للهوى الانفعالي داخل المقاطع النصيّة, ومن هنا ينبغي أن نقف عند السيميائية السردية أو ما يسميها غريماس وفونتاني بسيميائية العمل .

إنّ تاريخ السيميائية النصية التي تعد نماذجها المكوّن الأساس للبنية الثابتة للخطاب, وانطلاقا من ذلك نجد أنّ الكثير من الباحثين أشار إلى مراجعة العملية السردية في إطار الدراسات السيمائية للإهتمام بمستوى العواطف, والأهواء, وهي ليست منحصرة في تحويل نظر الدارس من المحسوس إلى المدرك فحسب, بل تحاول ان تقف عند هذا المدرك عبر الكشف عن التوترات التي تربطه بالمدرك إذ أنّ هناك رغبة انفعالية لا يمكن ان تتضح إلاّ بعد رصد القدرة على الفعل. بيد أنّ السيمائيين رأوا أنّ الفعل وحده لا يكفي؛ للعمل لذلك اتجهوا إلى دراسة العامل النفسي الانفعالي الذي

يعني مجمل المشاعر, والأحاسيس , والقيم في أثناء عملية السرد الذي تنهض به الشخصيات . فبدأت المدرسة السيميائية في التخلّص من البناء اللساني لمفهوم العامل والإتجاه إلى بناء مرن يأخذ بعين الاعتبار النفس البشرية , وهي تعمل بوصفها الفاعل بمختلف ميوله النفسية المتعددة من مشاعر وأحاسيس سعياً وراء رصد البعد الانفعالي في تحديد الواقعة السردية.

سيمياء الأهواء/ الإطار النظري :

عملت المدرسة السيميائية الباريسية ومنذ نشأتها على يد غريماس وتابعيه الحفر في الحقل السردي؛ لمحاولة الكشف عن العلائق الموجودة في الخطاب ولاسيّما ذلك الذي يهتم بالمقولة السردية.

ولم يمضِ ربع قرن على نظريته في السيميائيات السردية حتى وجّه أنظار النقد إلى الجانب الهووي للشخصية, فلم يكتف بالفعل, ومن هنا كانت لحظة اشتراكه مع جاك فونتاني في تأليف كتابهما (سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس).

مرّت دراسة الأهواء بمرحلتين: كانت الأولى مرحله البعد الانفعالي الذي يعني ((حاصل الآثار الهووية للكيفيات التي ترافق البرامج التداولية المعرفية))[٢].

أمّا المرحلة الثانية فالتأكيد على أن سيمياء الأهواء تحتوي على مسارات هووية لا ترتبط في التركيب السردي في البعدين المعرفي والتداولي؛ ذلك أنّ سيمياء الأهواء لها مجالها البعيد من مجالات العمل وهو إرتباط بالذات .

ومن هنا بات واجباً القول: إنّ ((الإهتمام بالبعد الهووي بعد حصر البعدين التداولي والمعرفي يأتي ؛ ليملأ بياض النظرية السيميائية الأساس))[٣] .

استطاع ا السيمائيون وهم بصدد دراسة سيميائية الاهواء أن ينقلوا الإهتمام إلى الحالة النفسية ؛ لتكون موضوع سيمياء الأهواء, وقد عانى هذا الحقل المعرفي من تعددية مصطلحيه تناوبت بين سيمياء الاهواء إلى سيمياء العواطف , ومن ثمّ السيميائيه التوترية فضلا عن السيميائية الإتصالية, وأخيرا سيميائية المحسوس , ومن أجل تكوين رؤية واضحة لثيمة الأهواء؛ ينبغي أن

نقف على الدراسات والمصادر التي عنت بهذا الجانب ,ومنها مصدران مهمان:

الأهواء محاوله في تخطيب الذاتية : ويُعدّ هذا المصدر من المصادر المهمّة في المجال السيميائي , الذي كان يُنسب إلى هرمان باريت, ويُعدّ ((حلقة أساسية في مسار مدرسة باريس سعياً إلى تطوير النظرية السيميائيه واغنائها, والإهتمام بمجالات أخرى تهم أساسا طويّة الإنسان وعقله الباطني, وتعليل جدوى الإنفتاح على مقاربات جديده تعنى بتداول الخطاب ومؤشراته التلفظية))[٤] , وفي موضع آخر قيل: إنّ هذا المصدر بعد نقله إلى العربية يُقدّم ((نظرة عن ترجمه المفاهيم, ويبيّن لنا كيف تفاعل المترجم (سعيد بنكراد) مع سيميائيات الأهواء خصوصا , والتراكم السيميائي عموما))[٥], ومن هنا يتضح أنّ باريت قد سار على وفق منهج يأخذ في معالجة الهوى من منظور فلسفي للغة مركزا على البعد التلفظي, وشروط إنتاج الخطاب , مما حدا به إلى أن يُضفي البعد التداولي على الخطاب, ويعيد النظر فيه وفي مختلف الأنساق التعبيرية .

وفي الجهة الثانية فإنّه يعيد النظر في بناء البعد الانفعالي عبر مختلف مستوياته وتجلياته, فضلا عن تقديمه لتصور جديد للمسار التوليدي مركزا على ثلاثة محافل وهي (الوجودي ثمّ المورفولوجي والتركيبي) .

أمّا عنايته بالتلفظ في بعده الخطابي فكانت من الأمور التي جعلها في الصدارة من الإهتمام إذ جعله كأثر للتلّفظ وليست بوصفها ذاتاً ما قبل خطابية وكذلك الإنجازية التي تتدّخل كاستراتيجية لتخطيب المشاعر, وهنا تتعاضد القوتان العاطفيّة والصورية ؛ لتجسيد الذاتية في الخطاب, والصدع بحضور المتكلم وفي خطابه وعن طريق عملية التخطيب يتضح أنّ هرمان

باريت ينطلق من المنجزات التلّفظية والتداولية للتدليل على القوّة العاطفيّة, التي تكشف عن حضور ذاتية المتكلّم في الخطاب , وبيان أنّ درجة القوّة أو (الهوى) هي التي تستوفي أحد شروط الفعل الكلامي[٦]

في حين كان المصدر الثاني : السلطة بوصفها هوى لـ (آن إينو), فقد دافعت عن تكامل سيميائي العمل والهوى على الرغم من التباين الحاصل بينهما في الدفاع عن الإتصال أو دعم الانفصال , فضلا عن أنّها اعتمدت في تحليل المتن على النهجين التطوري و الإلتزامي معاً .

أمّا النهج التطوري فإنّه يفتح آفاقاً ؛ لاستنتاج مشاعر الفواعل التاريخية , وهي تتفاعل مع الأحداث واستخلاص صنافة إحصائيّة للسلوكات الاستوائية المتواترة, وضبط العواطف الصادرة عن ممارسه الحكم, ودراسة الأهواء من زاوية اجتماعية وانتربولوجية . في حين يُعدّ النهج التزامني الفرضيات الأوليّة المتعلقة بإقامة سيميائية الأهواء.

كانت هذه جولة في رصد وتحليل لمصدرين مهمين في مجال سيميائية الأهواء , وهما بذلك قد أسسا علما سيميائيا ينبني على ثيمة الهوى بدلا من الفعل بيد أنّه لم يخرجهما ذلك من سيميائيات الأهواء الى المكوّن الهووي والمكوّن التوتري بالنسبة للذات .

كان الحقل الغربي الثقافي يعيش حالة من الانتعاش الكبيرة بسبب تنوّع الدراسات سواء أكانت في المجال النظري أم في المجال التطبيقي, فقد جاءت سيميائية الأهواء بعد دراسة سيميائية العمل مع جوزيف كورتيس, وهي جهود كان قد قام بها كلّ من غريماس وجاك فونتاني, فضلا عن سيميائيات أخرى من قبيل الثقافة مع مدرسة تارتو ,وسيمياء الثقافة الإيطالية مع أمبرتو إيكو, بيد أنّ ما يهمّنا من تلك الأنواع السابقة أن نرصد تطوّر العملية السردية في إطارها السيميائي, وفي البعد الانفعالي , ودراسة الهوى , والعواطف , والميول الانفعالية في مقاربة سيميائية .

ففي الإطار النظري آثرنا أن نقف عند عمل غريماس وفونتاني الموسوم بـ(سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس) الذي ترجمه سعيد بنكراد ؛ بوصفه القاعدة الأساس التي وضعناها للمدى التنظيري في مقاربة الأهواء في رواية (الحفيدة الأمريكية) في هذه المقالة البحثيّة مقاربة

سيميائية إذ تُعدُّ دراسة الناقدين السابقين بمثابة تأسيس لنظرية جديدة متعلقة بالأهواء من دون أن تلتبس فيه النظرية السيميائية العامة وبالتالي يضمن استقلالية البعد المتعلّق بأثارة الانفعال [٧].كما ينبغي القول: إنّ محاولة غريماس و فونتاني هذه لم تنطلق من فراغ إنّما اعتمدت على حقول معرفية متعددة, ومن باحثين آخرين أمثال بروب, وليفي شتراوس, فضلا عن الفائدة الكبيرة من هوسرل و ميرلو بونتي اللذين كانا من الظاهرايتين , إذ كانت لتصورات وأفكار هذين فيما يتعلق بالشعور والإدراك الأثر الواضح في تلك لدراسة بوصفها عُدة معرفية؛ من أجل الوصول إلى مقصدية الذات. وتبدو أهمية هذه الدراسة أنّها صبّت جل إهتمامها على الذات والعلاقة المحسوسة والانفعالية للذات مع نفسها , ومع العالم الخارجي, كما أنّ مؤلفي هذا المنجز أفادا كثيرا من الدراسات التي شغلت الكتّاب وعلماء النفس بما تضمنت تلك الدراسات من رؤى وتصورات لها علاقة وطيدة بالحالة النفسية للذات .

من هنا يتضح أنّ الأهمية التي حظيت بها دراسة غريماس و فونتاني أنّما تتأتى من إيلاء معنى الهوى والحالة النفسية المتحدث الأكبر؛ من أجل الوصول إلى ((ربط حركية العمل بحركية شعورية هووية موازية, وبذلك يؤدي الجسد محفلا توسطيّا بين الأحاسيس, ويضمن تفاعل الإنسان مع محيطه, ويجسّد حركيّا مجموع الأهواء التي تنتابه , سواء أكانت سعيدة أم حزينة)) [٨] لذا فإنّ سيمياء الأهواء محط إهتمام النقاد والفلاسفة ؛لأنّها تمسُّ جانباً معقداً في داخل الإنسان , وفي علاقته مع العالم , والأشياء حتى قيل: إنّ هذين الناقدين قد طورا نظرية من صميم النفس الإنسانية, إذ أنّه يتم عبر هذه النظرية الإنتقال من بناء نحوي لمفهوم العامل إلى بناء يتوجّه إلى

بناء النفس البشرية, وهي تعمل أي الوقوف عند دراسة العامل بمختلف ميول النفس المتعددة . هذا وتقترن سيميائية الأهواء بالذات , وحالات النفس الفردية في مقابل سيميائية الأشياء والعالم الخارجي , وهذه السيميائية المتعلقة بعالم الهوى, والذات والإنفعالات, فضلا عن الرغبات والأحاسيس الأخرى

التي صبّ الإهتمام عليها كل من غريماس و فونتاني إذ لم تكن قد اقتصرت على هذين العالمين, بل انطلق باريت في دراسته للأهواء من ثلاثة مستويات منهجيّة : ((المستوى المورفولوجي للأهواء, والمستوى التركيبي, ومستوى التخطيب))[٩], وهكذا كانت الانطلاقة التي سار على وفقها باريت .

بعد هذا الطرح النظري يمكننا الإنتقال إلى النظرية الاستهوائية, ومحاولة مقاربة رواية الحفيدة الأمريكية مقاربة سيميائية على وفق تلك النظرية ؛ من أجل الكشف عن آليّات اشتغال الدلالة الهووية في هذه الرواية؛ لأن الهوى هو أساس الدلالة, وجوهر انبثاق المعنى, فالرواية هنا تقوم على السيرة الذاتية والاسترجاع وتنطلق في زاوية النظر من رؤية داخلية (الرؤية مع), اذ تقوم على السرد بضمير المتكلم والمعرفة المشتركة, إذ تنهض الذات في هذه الراوية في إنجاز الأحداث, فقد تناولت الكاتبة انعام كجة جي في روايتها حالة الشابة العراقية زينة بهنام, بوصفها بطلة الرواية أو الشخصيّة المحورية فيها, اذ تحمل رؤية مختلفة تنبثق منها دلالات إنتاج لمعنى الوطن , والأرض ذلك أنّ لزينة بهنام مفاهيم خاصة في ثيمة الانتماء؛ نتيجة لتشظّي الهوية والصراعات بين بيئة شرقية متمثلة في العراق نهضت الجدّة (رحمة) في الحفاظ على تلك البيئة, في حين شكّلت (زينة) الخط الذي يكشف عن الهوية الغربية .

لقد بدأت بهجرة زينة مع والديها من العراق إلى أمريكا , بيد أنّ المفارقة تكمن في أنّ زينة التي تُدعى الحفيدة الأمريكية إذا ما قورنت بجدّتها التي تحمل رؤية أخرى للوطن والانتماء ' فتبدو زينة متصالحة مع جنسيتها الأمريكية, ولكنّها منسجمة أيضاً مع عروبتها التي زُرعت فيها من لدن والدها الأسيوي صباح بهنام .

في الوقت الذي تُشكّل شخصية زينة بهنام المحور الرئيس الذي تدور حوله الأحداث في الرواية , فهي تقوم بدور السارد بلسانها إذ جمعت زينة في شخصيّتها القلق والنزق مما أدى ذلك إلى أن يظهر في سلوكها الشخصي.

بيد أنّ السرد هنا يبدأ من حيث تنتهي الأحداث وتجربة العمل من لدن البطلة في صفوف المحتل إذ يتجسّد الخذلان والندم في صوتها. غير متحكّم فيه, وتصدر عنه , وتتمظهر انفعالات أخرى, ذلك أنّنا إن أكدنا الحب, لابدّ لنا من نفي البغض , وتأكيد الود, وهذا ما تريد الذات المستهوية الإعلان عنه, وترغب فيه بصدد علاقتها بالموضوع, إذ تمرّ تلك الرغبة بمرحلة توتر انفعالي حتى تصل في النهاية إلى مرحلة التوازن لتلك الانفعالات . لذا فالمعجم الاستهوائي يُحتّم علينا أن ندرس الأهواء بحسب استعمالاتها, وذلك نابع من تمظهرات الهوى, ولاسيّما الحب إلى الكراهية , الإيثار , الكرم, والبخل, والتواضع ,والكبر ,والحلم, والغلظة.

وبما أنّنا بإزاء رواية تعالج موضوعا سيميائيا استهوائيا قائما على رصد لمجموعة من الحالات الذاتية, فقد اتضح لنا أنّ هذه الحالات هي المتحكمّة في علاقات الأنا والآخر, وهي كما قلنا: فيما سبق تمظهرات تشظّي الذات, وهي بصدد البحث عن هويتها, إنّها رواية ترصد هوى الحب, وهوى الصراع, وهوى التواصل, وهوى الأخوّة, وهوى هذه الأخوّة انشطرت إلى شطرين: منها ما كان حقيقيا مثلما حصل مع زينة وأخيها, بوصفه أخاها في الرضاعة وعشقها المحرّم بحسب التعاليم الاسلامية, وهنا تبدأ حالة من الصراع , والغضب الذي يرافق زينة, ورفضها للدين الذي يقف حائلا بينها وبين حبيبها بحسب رؤيتها , وهوى الحب لدى زينة للشاب الأمريكي كالفن في ديترويت .

وقد أشار أحد النقّاد إلى أنّ((العلامة أداتنا في الكشف الناطق في النفس البشرية والتي لا ترى بالعين المجردة, فالمرء منها هو تجلّ يكشف عن وجود انفعالية بلا هوية ولا حدود ولا معنى فالإحساس سابق في الوجود على التخلّي الدلالي السابق على تمفصل سيميائي)) [١٠].

التمظهر المعجمي للحب:

ورد في معاجم اللغة أنّ الحبّ: الوداد. ويقال: في الترحيب: حبّاً وكرامة, علم النفس: ميل إلى الأشخاص أو الأشياء العزيزة أو الجذابّة أو النافعة(١١) .

أمّا في موضع آخر فقد قيل:((حُب : بضم الحاء(حَبَّ) ضد الكراهية))(١٢)

أمّا في الدلالة النفسية, فقد قيل: عن الحبّ((وجدان أو عاطفة إرتباط مع شخص يغلب أن تكون نابعة من الجاذبية ,وقيل: أيضا أنّ الحبّ جدا وجدان مختلف المظاهر السلوكية والمحتويات العقلية, ولكنّه على وجه العموم يتضمن تأثراً وجدانياً وإحساسا بالترابط مع شخص أو شيء مع شوق زائد))(١٣) .

التمظهر الدلالي للحب

يتضح من تتّبع دلالات الحبّ في نصوص الرواية وبعد أن رصدنا التمظهر المعجمي لـ(هوى الحبّ), فضلا عن الدلالة النفسية, أنّ المحبة هنا توزّعت بين محبّة الجدة لزينة بطلة الرواية, وبين أصناف من الحبّ الأخرى التي تناوبت بين حبّ الشخصيّة المحورية (زينة) للأمريكي (كالفن) ,وحبّها لمهيمن أخيها في الرضاعة .

وفي موضع حبّ الجدة تنقل لنا الشخصيّة المحوريّة في الرواية مشاعرها و أحاسيسها بإزاء حبّ جدّتها لها فتقول: ((بكيت على كتفها من التأثر والمحبّة, وكانت تبكي من المحبّة والقهر, وربّما من العار))(١٤)

لقد تبيّن لنا ونحن بإزاء مجموعة من المفردات التي تتمظهر من هوى الحب, وهي البكاء , والمحبة والقهر والإحساس بالعار, إذ تترجم زينة حبّها لجدّتها بحاجتها إلى البكاء, بيد أنّ التأثر هنا يرصد عمق الأحاسيس التي تنتاب زينة في حالة مجيء جدّتها لرؤيتها .

وفي موضع آخر من الرواية نرصد حبّاً يكشف هوى الحب لدى الأم إذ يتشكّل السرد عبر وصف لنوع من الحبّ, فتقول : وبلهجة عاميّة " وين

راح الحبّ الذي تحدّث به أمّك الدنيا))[١٥] بيد أنّ تساؤلات ترد من الذات الرئيسة بتوظيف مفردة الحبّ التي شكلت فيما بعد الثيمة الرئيسة لهوى الحبّ لديها, وهو حب يتناقض مع ما هو سائد ومعروف في الواقع ؛ لذا فهي تقول: ((ولم أدر بمن أجيب ولم أكن رغم اقترابي من الثلاثين قد جربت الحبّ الذي يجعل صاحبه يخالف دنياه لكي يعيشها))[١٦]

أمّا حبّ المرأة التي تُدعى طاووس فقد تمظهر هو الآخر بدلالات متعددة, إذ تميل تلك الدلالات إلى حبّ المرأة لزينة بوصفها المنتمية للعائلة والمرأة التي تخدمهم وتقريب العائلة لها ولأولادها .

يتجسّد الهوى لديها ,وفي هذا الموضع وعلى لسان زينة اذ تقول:((طاووس لا تشبع من عناقي وتقبيلي, وتقول: إنّ لها حصة فيّ , وأنا مشغولة عنها في البيت الذي يعبق بفوح الرز يتنفس على نار هادئة ضوع لا شبيه له يغطي على عطن السجّاد العتيق))[١٧]. في حين تجلّي حبّ الجدّة (رحمة) لبلدها العراق وهوى الحبّ هنا يختلف عن سواه فلا شبيه له وقد رافق المتلقي منذ السطور الأولى حتى خاتمة الرواية فلم يثنها عن حبّها لبلادها حبّها لزينة حفيدتها أو أي شيء آخر, إذ الرواية ومنذ لحظاتها الأولى تنطوي على ثيمة صراع الهوية وصراع جيلين :جيل الأجداد وجيل الأحفاد وتشظي الإنسان بين هويتين , و حالة الانفصال التي ترافق الشخصيات, وهم بإزاء الغربة , والحيرة, واليأس من التحوّل نحو الأفضل بالنسبة للظروف التي يعيشها الفرد في وطنه . ونلحظ في الغالب تداخلا بين الافعال والعاطفة اذ يتجسّد البعد الانفعالي في النصّ عبر هوى الحبّ .

التمظهر المعجمي للغضب:

الغضب: استجابة لانفعال تتميّز بالميل إلى الاعتداء, الغضوب , كثير الغضب . (غَاضَبَ) فلاناً: هَجَرهُ , وتباعد عنه[١٨]. وقيل الغضب في الاصطلاح يعني : ثوران دم القلب بقصد الانتقام [١٩]

التمظهر الدلالي للغضب :

يتجسّد هوى الغضب في رواية الحفيدة الأمريكية بمقاطع ارتبطت بشخصيات الرواية الرئيسية الجدة (رحمة) وزينه الذات الرئيسة في الرواية, فقد كان لغضب الجدة ما يبرره , فهو غضب منطقي لم يخرج عن الخط , الذي سارت به الجدة في, وهو تجسيدها للهوية العراقية, وانتمائها لبلدها العراق لذا كانت تغضب على حفيدتها زينة, وهي ترى ذلك لتشظي في هويتها بإزاء بلدها, ووقوفها إلى جانب الجيش الأمريكي بل خدمتها في صفوفه, وليس أدلّ على ذلك من الكره والغضب التي تكنّه الجدة للأمريكان, وهي ترى حفيدتها بالبزّة العسكرية ((استغربت الجدة للمداهمة الكاذبة بعد أن أخبرتها حفيدتها الأمريكية هاتفيا بالخطة . مانعت في البداية ولم تفهم ما دخْل المترجمين بمهمات التفتيش التي يقوم بها المحتلون ..... ومع كل الاستعداد, والقلق المسبق اتهمت العجوز ولطمت خدّيها وهي ترى حفيدتها بالبزّة العسكرية..... لم تعرفها في البداية والخوذة فوق رأسها. تمنّت لو كانت المرآه المألوفة أمامها تتنكّر بهذا اللباس, لو أنّها استعارت الخوذة لحماية رأسها من طلقات طائشة لا تخلو منها سماء بغداد لكن ما تراه عيناها هو ما هجس به قلبها من قبل, لا وفقّك الله يا زينة يا بنت بتول ليتني مت قبل دخولك عليَّ هذه الدخلة السودة))[٢٠]

يتضح مما سبق أنّ الجدة (رحمة) وفي الخط الذي سارت عليه منذ الأسطر الأولى تؤكّد على دلالات الوفاء وقيمها التي شكّلت شخصيّتها وهذا ما أرادت المؤلّفة أن تقوله: في الرواية على لسان الجدّة وتداخل الغضب والكره لكل ما هو بعيد عن إرادتها في التعبير عن حبها للعراق.

وفي موضع آخر من الرواية يظهر غضب آخر, إنّه غضب مهيمن الذي أحبته زينة ذلك الغضب الذي يحيل إلى دلالات من نوع آخر حينما سخرت زينة من الدين وتعاليمه , فها هي تزيد في غضبه ومقته بكلماتها وهي تقول ((يفتح مهيمن عينه فزعا عندما يسمعني أقول إنّني لا أؤمن بالحليب

الـذي يـؤاخي الغربـاء ولا بعقـود الـزواج الأبـيض ولا بالاسـتحرامات التـي تفسـد الصـبوات لا يفهـم أنّ امـرأه حـرّة مثلـي لا تحتـاج إلـى أكثـر مـن أن يقـرب جمـر عينـه منهـا))[٢١] وتسـتمر زينـة بكـلام ينـافي معتقداتـه , وهـي بصـدد عـرض الـزواج عليـه حتـى لـو كـان زواجـا مؤقتـا فيـرد عليهـا بقولـه: ((عيـب مـاذا تقـولين يـا زينـة مـن أيـن لـك هـذا الكـلام الماسـخ ؟)) [٢٢] , ولكنّـه بعـدها يستشـيط غضـبا حتـى يصـل إلـى أن ((تحـتقن عينـا مهـيمن مـن الغضـب تلمعـان وتحمـران وتـزدادان قتامـة وجاذبيـه وأنـا سـاهمه فـي وجهـه .....لا يمكـن أن يكـون هـذا الغضب محايداً وفوق الشبهات))[٢٣].

وبنـاء علـى مـا سـبق يمكـن القـول: إنّ هـوى الغضـب يتمظهـر فـي هـذه المقـاطع عبـر بعـد انفعـالي وتـوتري يتبـاين مـن شـخص إلـى آخـر فغضـب الجـدّة يـدور حـول معـاني الإخـلاص والوفـاء للـوطن, أمّـا غضـب زينـة وأهوائهـا الأخـرى مـن أجـل تحقيـق رغباتهـا, وشـهواتها , وعلـى النقـيض مـن ذلـك يتجسّـد غضـب مهـيمن إذ يـدور حـول دلالات دينيـة فمـا أن تـذكر زينـة شـيئا مـن معتقداتـه حتـى يبـدو الغضـب واضـحا علـى معـالم وجهـه , رافضـا مـا تعتقـد هـي فهمـا خطـان متعارضـان أرادت الكاتبـة الحفـاظ عليـه عبـر البـرامج السـردية التـي تتشـكّل منهـا الرواية .

التمظهر المعجمي للشجن :

الشـجن لغـة : شَـجَنَ- شـجناً: حَـزِن. فهـو شَـجِنٌ , الهـم والحـزن ,أشـجان وشجون.

(شجاه) الأمر- شجْواً: حزنه[٢٤].

فـي عـوده إلـى الروايـة؛ لرصـد عمـق ذلـك الشـجن الـذي خـيّم علـى روح البطلـة(زينـة) وهـي تصـف حالتهـا, ومـا تحسّ بـه بعـد تجربتهـا فـي الغربـة إذ تقـول: ((وصـلت إلـى البيـت واغتسـلت لـم يسـقط غبـار الشـجن فـي فوهـة البـانيو ويـذهب مـع الصـابون ظـل عالقـا بـي مثـل قرينـي, سـيبقى معـي يكمـل تربيتـي يرافقنـي عنـدما أسـوق سـيارتي وأتفـرّج علـى النـاس يـأكلون ويشـترون ويضـحكون ويسـنون

لا يعرف هؤلاء ما جرى لي . ما يجري لنا في تلك البلاد أولادنا أرقام صماء, تحمل شواهدها وتتقدّم))[٢٥].

وفي موضع آخر من الرواية تقول زينة ((انتهى عقدي مع الجيش ولم أجدّده عدت من بغداد بهذه الحصيلة مثل عسل مصفّى ثقيل ولزج وشفّاف يفيد في ليالي الأرق ويحرّض على كتابة الشعر.... يقودني الشجن من يدي إلى غابة الأشجار الرمادية ينساني هناك))[٢٦]

من تلك العبارات ومن الآهات, والإحساس بالاندحار كما تصفه في أثناء حديثها عن المؤلّفة إذ تقول: ((ضاق بطباع المؤلفة أرادت أن تلحق به إلى ديترويت تتبعني حتى آخر رمق تسجّل اندحاري قبل أن تنهض عن طاولة الكتابة تمط ذراعيها وتفرد ظهرها وتصفق جذلاً تشرب نخب انتصارها على الحفيدة الأمريكية))[٢٧]

إنّها كلمات الحفيدة الأمريكية التي جسّدت لنا ومنذ السطور الأولى كيف كان صراعها , وحالة الانفصال عن هويتها وحالة الاغتراب واليأس الذي كشفته أهوائها وانفعالاتها لنا بتلك المقاطع التي تنادت بين السرد و الحوار حتى استطاعت سيمياء الأهواء ومقاربة البعد الانفعالي أن تكشفه وهي بصدد توظيف آليّات لإنتاج دلالي هووي في مسارات إشتغال المعنى .

من هنا يمكن القول: أن سيمياء الهواء أفادت من الدراسات النفسية في وهي بصدد مقارباتها السيميائية, ولاسيّما عند دراسة الذات وانفعالاتها, وكلّ ماله علاقة بالرغبات؛ لتصل إلى الكشف عن دلالات الذات في بعدها الأهوائي وفي مسارها النفسي.

الخاتمة:

سيمياء الأهواء أو سيمياء الانفعالات أو البعد الوتري أو سيمياء العواطف كما بدا التعدد المصطلحي في هذا الحقل المعرفي ذلك الاتجاه السيميائي الذي يرصد نوعاً من التحليل المنهجي الذي يرتبط إرتباطاً وثيقا بالتحليل النفسي والحالات الانفعالية التي تتمظهر في الذات الانسانية .

كانت رواية الحفيدة الأمريكية في هذه المقالة البحثية مدار التطبيق الذي جسّد لنا دور الكتلة الاستهوائية للذات , ولا يخفى أنّ سيميائية العنوان في هذه الرواية يشير إلى كتلة من الأحاسيس فما إن نقف عند مفارقة العنوان حتى يتبادر إلى الذهن أنّ جيلين مختلفين في الأحاسيس , و المشاعر, والانفعالات إنّه جيل الأحفاد, وجيل الأجداد فتناوبت تلك المشاعر بين الحب وتمظهراته , وما بين الغضب ,وهو نتيجة طبيعية لحالة الصراع القائم بين هذين الجيلين فضلاً عن الهوى , والحزن, والشجن الذي عصف أخيراً بالبطلة زينة وتلك الأهواء طالما رافقت أولئك المبدعين أو المغتربين عن أوطانهم فضلاً عن تشظّي الهوية .

هوامش البحث:

١) يُنظر: المنهج السيميائي – الخلفيات وآليّات التطبيق, غريماس , كورتيس , وآخرون, ت: عبد الحميد بورايو, دار التنوير , الجزائر,ط١,٢٠١٣,ص١٩.

٢) سيميائية الأهواء من حالات الاشياء إلى حالات النفس, غريماس, و فونتاني,ت: سعيد بنكراد, دار الكتاب الجديد المتحدة, طرابلس,ط١, ٢٠١٠, ص.

٣) البعد الهووي ودوره في حركية الإنجاز, دراسة في رواية سيدة المقام لواسيني الأعرج, آسيا جريوي, مجلة المخبر , جامعة محمد خضير , بسكرة , الجزائر, ع٨, ٢٠١٢, ص٣٩.

٤) سيمائيات الأهواء في حلتها العربية, محمد الداهي, ص١٠٤. على الموقع الآتي: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/26393 بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٢٧

٥) المصدر نفسه, ص١٠٤.

٦) يُنظر: سيميائيات الأهواء في حلتها العربية, محمد الداهي , ص١٠٥.

٧) يُنظر: سيميائية الكلام الروائي, منشورات المدارس , الدار البيضاء, ط١, ٢٠٠٦, ص١٧.

٨) التحليل السيميائي والخطاب, نعيمة سعدية , دار الكتب الحديث, الأردن, ط١, ٢٠١٦ ص١٤٦.

٩) يُنظر: السيميائيات في حلتها العربية, محمد الداهي, ص١٠٤- ١٠٥.

١٠) بحث :السيميائيات –النشأة والموضوع , سعيد بنكراد, مج/٣٥,ع/٣,مجلة عالم الفكر(السيميائيات), إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت ,٢٠٠٧,ص١٠.

١١) يُنظر: المعجم الوجيز, مجمع اللغة العربية, وزارة التربية والتعليم, القاهرة,(د.ط),١٩٩٨, ص١٣٠.

١٢) معجم لغة الفقهاء, محمد رواس قلعه جي,, دار النفائس, لبنان, ط١, ١٩٩٦, ص١٥٢, ويُنظر: المفردات في غريب القرآن, الراغب الأصفهاني, دار المعرفة , لبنان,(د. ط), (د.ت),ص١٠٥.

١٣) ماهية الحبّ, عبد الرحمن بن سعود الهواوي, على الموقع الآتي: https://www.al-jazirah.com بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٢٧.

١٤) رواية الحفيدة الأمريكية, إنعام كجه جي, دار الجديد, بيروت – لبنان , ط١, ٢٠١٠.ص٧٢.

١٥) الرواية, ص٧٥.

١٦) الرواية , ص٧٥.

١٧) الرواية , ص٨٩.

١٨) يُنظر: المعجم الوجيز,ص٤٥١.

١٩) يُنظر: المفردات في غريب القرآن ,٣٦١.

٢٠) الرواية ,ص١١٣.

٢١) الرواية ,ص١٣٤.

٢٢) الرواية,ص١٣٤.

٢٣) الرواية, ص١٣٥.

٢٤) المعجم الوجيز , ص٣٣٦.

٢٥) الرواية, ص١٩٥.

٢٦) الرواية, ص١٩٢.

٢٧) الرواية, ص١٩٣.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١) البعد الهووي ودوره في حركية الإنجاز, دراسة في رواية سيدة المقام لواسيني الأعرج, آسيا جريوي, مجلة المخبر , جامعة محمد خضير , بسكرة , الجزائر, ع٨, ٢٠١٢.

٢) التحليل السيميائي والخطاب, نعيمة سعدية , دار الكتب الحديث, الأردن, ط١, ٢٠١٦.

٣) الحفيدة الأمريكية, إنعام كجه جي, دار الجديد, بيروت – لبنان , ط١, ٢٠١٠.

٤) سيميائية الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس, غريماس, وفونتاني, ت: سعيد بنكراد, دار الكتاب الجديد المتحدة, طرابلس,ط١, ٢٠١٠.

٥) سيمائيات الأهواء في حلتها العربية, محمد الداهي. على الموقع الآتي: https://www.asjp.cerist.dz بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٢٧

٦) السيميائيات –النشأة والموضوع , سعيد بنكراد, مج/٣٥,ع/٣,مجلة عالم الفكر(السيميائيات), إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت ,٢٠٠٧.

٧) سيميائية الكلام الروائي, منشورات المدارس , الدار البيضاء, ط١, ٢٠٠٦.

٨) ماهية الحبّ, عبد الرحمن بن سعود الهواوي, على الموقع الآتي: https://www.al-jazirah.com بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٢٧

٩) معجم لغة الفقهاء, محمد رواس قلعه جي, دار النفائس, لبنان, ط١, ١٩٩٦.

١٠) المعجم الوجيز, مجمع اللغة العربية, وزارة التربية والتعليم, القاهرة,(د.ط),١٩٩٨.

١١) المفردات في غريب القرآن, الراغب الأصفهاني, دار المعرفة , لبنان,(د. ط), (د.ت).

١٢) المنهج السيميائي – الخلفيات وآليّات التطبيق, غريماس , كورتيس , وآخرون, ت: عبد الحميد بورايو, دار التنوير , الجزائر,ط١ ,٢٠١٣.